دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الدين والسياسة الخارجية الأمريكية
المصدر:	مجلة الملتقى
الناشر:	عبدالصمد بلكبير
المؤلف الرئيسي:	ميد، ولتر راسل
مؤلفين آخرين:	المعلم، عادل، عباس، حمدي(مترجم)
المجلد/العدد:	ع 22,23
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2010
الشهر:	صيف
الصفحات:	77 - 109
رقم MD:	515128
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الإيفانجليكيون، الدين و السياسة، المجتمع الأمريكي ، السياسة الأمريكية ، استشراف المستقبل ، الملوك و الحكام ، الخطاب الديني
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/515128

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الدين والسياسة الخارجية الأمريكية

والتر أسيل ميد

توطئة:

استضاف عبد المنعم سعيد على شاشة التلفيزيون ريتشارد هاس، المسؤول الإستراتيجي في الخارجية الأمريكية، وسأله: كيف يبرر اللهجة الدينية الواضحة في خطاب الرئيس بوش، والذي يذكرنا بالخطاب الديني المتشدد للملالي الإيرانيين؟ ضحك الضيف قبل أن يجيب: الخطاب الديني يؤثر في الشعب الأمريكي... فهو أكثر الشعوب تديناً.

وإليك بعض الحقائق عن الشعب الأمريكي:

- ٪٥٠ يذهبون للكنيسة أسبوعياً.
- ٪٩٥ يؤمنون بوجود الله، والملحدون ٪٥.
- هناك بيت عبادة لكل ٨٦٥ شخصاً في الولايات المتحدة.
- في عام ٢٠٠٠م بلغ دخل الداعية بيلي جراهام ١٢٦ مليون دولار. (نيوزيوك ٢٠٠٣/٣/١٠).
- المسيحيون المؤمنون هم أقوى مؤيدي بوش، وزيادة أعدادهم هي أهم أولويات الرئيس، وبالطبع يرد هؤلاء المسيحيون المؤمنون الجميل، فهم أقوى مؤيدي الحروب.
- في عام ١٩٩٩ وبينما (بوش) يستعد للترشح، جمع رعاة الأبرشيات في مقر حاكم تكساس لأخذ البيعة، وأخبرهم أنه "استدعى" (من قبل الله) لمنصب الرئاسة. (نيوزويك ٢٠٠٤/١١/١٥).
- وضع (بوش) أساس مستقبله السياسي على حزام الكتاب المقدس في تكساس، وأكمل البناء يوم الانتخاب.

- حصل بوش على ٪٧٥ من أصوات الإيفانجليكيين(*)، وكذلك على أصوات غالبية من يذهبون للكنيسة بانتظام.
- لقد كانت القيم الأخلاقية هي الاهتمام الأقصى للناخبين، ٪٧٨ من هؤلاء المهتمين بالقيم الأخلاقية انتخبوا بوش.

ومن كتاب الرئيس جورج بوش "مهمة للأداء"

- لم أكن أستطيع أن أصبح حاكماً ما لم أؤمن بخطة إلهية تنسخ كل الخطط البشرية.
- دفعني الراعي مارك كريج خارج حياتي المريحة كحاكم تكساس، وفي اتجاه حملة قومية للرئاسة.
- قبل ذلك، التحقت ولورا، بكل من الكنيسة الميثودية التي تتبعها، والكنيسة المشيخية، حيث كنت أعطي دروس الأحد بعد عودتي الأولى إلى ميدلاند. لقد أصبحت عضواً فاعلاً في الكنيسة الميثودية المتحدة الأولى، واشتغلت في لجنة التمويل.
- حين عدت إلى ميدلاند، بدأت قراءة الكتاب المقدس بانتظام. وأقنعني دون إيفانز بالانضمام إليه هو وصديق آخر لاجتماع الرجال لدراسة الكتاب المقدس (Men's community bodle study). وقد تكونت هذه المجموعة قبل ذلك بعام (ربيع ١٩٨٤) في بداية انحسار صناعة الطاقة. وكانت ميدلاند تعاني آنذاك، وكان الكثير من الناس يبحثون عن الراحة والسند والاتجاه الصحيح. وبدأ رجلان دراسة الكتاب المقدس كفريق دعم، ثم تطور الأمر. وفي بداية حضوري (خريف ١٩٨٥)، كان يجتمع ١٢٠ رجلاً. ثم ننضم إلى المجموعة الكبيرة في اجتماعات موسعة. وكان دون جونز يمر بي كل أسبوع ليصطحبني إلى الاجتماعات، وأتذكر أني كنت أتطلع لذلك. وصار حبي لقراءة الكتاب المقدس أقوى وأقوى.

(*) الذين يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس، ومرجعيته العليا، والخلاص الأبدي على يد المسيح من خلال الإيمان بفدائه للبشر بموته على الصليب، وبوجوب التبشير بكلمة الله، وتنتظر أغلبيتهم القدوم الثاني للمسيح بعد معركة هرمجدون.

- كنت أقرأ الكتاب المقدس بانتظام، وأعطاني دون أيفانز نسخة الكتاب المقدس للقراءة في خلال عام، وهو مقسم إلى ٣٦٥ جزءاً، وكل منها يتضمن جزءاً من العهد الجديد وجزءاً من العهد القديم وجزءاً من سفر المزامير والأمثال. وكنت أقرأ هذا الكتاب مرة كل عامين.

كما تعلمت روعة الصلاة. فأصلي من أجل الإرشاد. ولا أصلي لأمور دنيوية، وإنما لأمور أخروية، أصلي لأكتسب الحكمة والصبر والفهم.

- كم يغير الإيمان الحياة. أنا أعرف ذلك جيداً. لأن الإيمان غير حياتي. ومن كتاب "أمة اليمين":
- أمريكا أمة بروح كنيسة.
- تاريخ أميركا هو سلسلة متتابعة من الحملات الصليبية.
- في أمريكا ٢٠٠ قناة تليفزيونية و١٥٠٠ محطة راديو للبرامج المسيحية.
- في أمريكا، يحضر الرئيس قداس الأحد بالكنيسة بانتظام، ويبدأ كل غداء أسبوعي مع نائبه بالصلاة، ومع ذلك يعتبر غير متدين بما يكفي.
- العديد من مستشاري بوش لهم روابط دينية. كوندوليزا رايس ابنة كاهن مشيخي. وأندرو كارد متزوج بكاهنة بالكنيسة المنهجية. وكارن هيوز شيخة في كنيسة مشيخية، وتلقب بـ "النبية". وحين وجد بوش وحاشيته أنفسهم يقضون أحد السعف على متن طائرة الرئاسة (عائدين من رحلة إلى السلفادور) اقترح بعض أعضاء الحكومة إقامة قداس ديني ارتجالي، فانحشر أربعون من المسؤولين في غرفة المؤتمرات بالطائرة، وأمت القداس رايس وتلت هيوز فقرة الكتاب المقدس، وانتهى المشهد كله بترديد أنشودة "صلاة الشكر على النعم" وبأحضان وقبل بين الجميع تعبيراً عن الأخوة المسيحية.
- أبلغت البارونة شيرلي ويليامز مجلس اللوردات بأن سياسة إدارة بوش "يوجهها ما يمكنني أن أصفه بأنه أصولية مسيحية و أصولية يهودية لا تقل قوة عن الأصولية الإسلامية".

ومن كتاب العام (٢٠٠٥) الصادر من بريتانيكا:

- اشترى الأمريكيون عام ٢٠٠٤ كتباً دينية قيمتها ١,٩ بليون دولار (وذلك أضعاف مضاعفة لما قرأه العرب في كل المجالات عام ٢٠٠٤).
- ووزعت سلسلة كتب القس تيم لاهاي (المتروكون خلفاً- Left behind) التي تروي أحداث المجيء الثاني للمسيح، ومعركة هرمجدون، ٦٠ مليون نسخة، وصدرت في صور أخرى، كألعاب، وشرائط فيديو.

* * *

حقيقة الأمر، أن الشعب الأمريكي متدين منذ هجرة البيوريتانز (= الأطهار، ويسمون أيضاً الحجاج) إلى أمريكا... أرض الميعاد، واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار... وكان ذلك في ١٦٢٠ على السفينة ماي فلاور... وأغلبية الأمريكيين يعتبرون أن أمريكا هي حصن المسيحية في العالم... وعليهم رسالة إلهية يجب إبلاغها لبقية شعوب العالم.

فإذا عرفنا أن الشعب الأمريكي متدين، وأنه "بلد الله" كما يقول عنوان المقال، فماذا بعد؟

علينا أن نضيف أن العالم أصبح صغيراً، وأن سياسة أمريكا الخارجية تؤثر في معظم أنحاء العالم، وخاصة في منطقة الشرق العربي، وأن نسبة كبيرة من المسيحيين في أمريكا تؤمن بأن قيام دولة إسرائيل هو تحقيق للنبوءات التوراتية... وإثبات لصحة الكتاب المقدس، ولصحة معتقداتهم... وأن الله يبارك أمريكا إذا باركت إسرائيل، ويلعن أمريكا إذا لعنت إسرائيل، كما لعنها ويلعنها العرب..

هذا الفكر متجذر في الولايات المتحدة من قبل ظهور هيرتزل في نهاية القرن التاسع عشر، وقبل ظهور الصهيونية اليهودية... وهذا الفكر يتزايد ويشتد عوده، خاصة بعد حرب ١٩٦٧، التي ظهرت كمعجزة إلهية للشعب المختار.

ولا تتوقف خطورة هذا الاتجاه الديني/ السياسي عند هذا الحد، على ما في هذا الحد من خطورة، بل يزيد على ذلك إيمانه بعدم جدوى السعي وراء سلام عالمي، خصوصاً في الشرق الأوسط، وعدم جدوى التعاون الفعال مع أعداء المسيح... سواء كانوا العرب الكنعانيين، أو الأمم المتحدة... مع اعتبار أن القلاقل والاضطرابات، وفترة الضيقة (... مصطلح إنجيلي يشير إلى الفترة الصعبة التي تسبق مجيء المسيح)، بالحروب وغيرها، هي المقدمة للمجيء الثاني للمسيح.

يفصل هذا المقال الخريطة المسيحية وتطوراتها في الولايات المتحدة، ويعطي بعض الضوء لمن يقدر أهمية المسألة وخطورتها، ويرشده ماذا يجب أن يفعل... خاصة أن الرأي العام الأمريكي، وبالذات بين الايفانجليكيين، له تأثير على الأمن في الشرق الأوسط... فهل خاطبنه وهل خاطبنا الكونجرس، ومراكز البحوث، والجامعات التي تقوم بتدريس تاريخ وحضارة وأديان الشرق والعرب والمسلمين؟

هل بحثنا مع الأمريكيين من أصل عربي ماذا علينا أن نفعل؟ الأمر الذي تفعله إسرائيل مع اللوبي اليهودي، وتفعله مع الصهيونية المسيحية، اللذين لهما الفضل في بناء إسرائيل عسكرياً واقتصادياً، وحمايتها إعلامياً وسياسياً.

يلخص ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر في مقالة حديثة له عن مشكلة فلسطين: "لا وجود للطرف الآخر"... يقصد بالطبع الفلسطينيين والعرب في المجال الإعلامي والسياسي.

أكثر من هذا، كتب كثير من المعلقين والخبراء الأمركيين في الشرق الأوسط، أن بعض كبار المسؤولين الحكوميين في "البلاد المعتدلة" يتكلمون في أمريكا بلسان إسرائيل، حين يهاجمون التيارات الشعبية والإسلامية بها... وبالطبع فلقد كان يفعل ذلك أيضاً الراحل عرفات.

هل آن الأوان لأن نعترف بقصور سياستنا الخارجية في تحقيق آمالنا، بدءاً بفلسطين، ثم السودان، فالعراق، ولبنان؟...

لقد فقدنا البوصلة تماماً في سياستنا الخارجية.... فهل آن الأوان لأن نعيد بناءها على المعرفة والبحث أولاً، ثم العمل بخطط مدروسة يضعها مجموعة من الخبراء للمدى القصير والطويل، لتحقيق مصالح وتطلعات الأمة.

وهل آن الأوان لأن يتعرف مخططو سياستنا الخارجية على ما لدينا من نقاط قوة ظاهرة وكامنة ومستقبلية.

عادل المعلم

* * *

الإيفانجليكية والسياسة الخارجية

للدين أثر قوي على السياسة والسياسيين وعلى الهوية والثقافة في الولايات المتحدة. ويعمل الدين على تحديد شخصية الدولة ويساهم في تكوين أفكار أميركا عن العالم... كما يؤثر على أساليب استجابة الأمريكيين للأحداث التي تقع خارج بلادهم. ويفسر أيضاً إحساس الأمريكيين بأنفسهم كشعب مختار.. وإيمانهم بأنهم يحملون مسؤولية نشر القيم التي يؤمنون بها عبر العالم. وبالطبع ليس كل الأمريكيين.. وحتى الذين يؤمنون بها... يختلفون حول ما تعني. لكن يكفيهم قناعتهم بأن ممارسة هذه الأفكار لها تأثير عميق على أداء بلادهم في الداخل والخارج.

كثيراً ما يلجأ أنصار الأحزاب المختلفة إلى الاسترشاد بالمبادئ الدينية عند مواجهة العديد من القضايا... لدعم وجهات نظرهم. والبلاد بها تعددية دينية تكفي لتوفير دعم قوي لأي سياسة خارجية يمكن تصورها... في أي مكان.

ومع ذلك، يتغير ميزان القوى بين مختلف الطوائف الدينية بمرور الزمن.. وقد تغير بشكل ملحوظ داخل الجيل الأخير.. وبعواقب درامية. وبقدر نجاح الطوائف المحافظة داخل البروتستانتية الأمريكية في ضم المزيد من الأنصار، فقد انتاب الضعف البروتستانتية اللبرالية... والتي كانت مهيمنة في منتصف القرن العشرين. وبالطبع أدى هذا التحول إلى تغيير عميق في السياسة الخارجية.

وعلينا استيعاب هذه التغييرات... لأن معظم دارسي السياسة الأمريكية سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها.. غير ملمين نسبياً بالبروتستانية المحافظة في أمريكا. إن آراء القس الإيفانجليكي "بيلي جراهام" تؤدي إلى مفاهيم مختلفة للعلاقات الخارجية.. عن المفاهيم الشائعة عند جامعة "بوب جونز" الأصولية.

يمكن للاختلافات اللاهوتية والثقافية أن يكون لها تبعات سياسية هامة... وهذا ما حدث بالفعل. ويتطلب تفسير آثار التغييرات الدينية في الولايات المتحدة على سياستها الخارجية.. نظرة قريبة فاحصة داخل "خيمة إحياء" البروتستانتية الأمريكية.

لماذا هذا التركيز على البروتستانتية؟! لأنها شكلت، إلى حد ما، الجانب الأكبر من الهوية الأمريكية، ولا تزال حتى اليوم هي عقيدة الأغلبية في الولايات المتحدة.

إلى جانب ذلك فإن التغييرات داخل الكاثوليكية (ثاني أكبر عقيدة... وأكبر طائفة دينية متعددة في البلاد) تظهر في صورة أكثر خلطاً وبمضامين أقل في السياسة الخارجية.

وأخيراً، فالأمر الذي له دلالاته.. أن الجماعات الدينية الأخرى المتبقية.. تصبح وبشكل واضح أقل فاعلية حين يتصل الأمر بسياسات البلاد.

مسألة أصول:

تساعد كثيراً معرفة كيف بدأ تأثير البروتستانتية على السياسة الخارجية الأمريكية في فهم الدور التاريخي الذي يلعبه الدين في الحياة العامة للبلاد، فالتراث الديني الأمريكي الذي خرج من حركة الإصلاح في انجلترا واسكتلندا في القرن السادس عشر... تضمن العديد من الأيديولوجيات والأفكار الدولية عبر الزمن. وهناك ثلاثة عناصر بالغة التأثير: تراث متشدد وصارم ويمكن اعتبار أنه "أصولي"، تراث أخلاقي تقدمي معروف باسم "الليبرالية المسيحية"، ثم تراث إيفانجليكي.

البينتيكوستال(*) يختلفون عقدياً عن غيرهم من الإفانجليكيين، والأصوليين، لكن البينتيكوستال أحد فروع اللاهوت الإفانجليكي... ومن ثم يمكن حساب البينتيكوستال الأمريكيين على الإيفانجليكية.

(*) -Pentecostal طائفة بروتستانتية ظهرت في الولايات المتحدة في أوائل القرن العشرين، تحتفل بنزول الروح القدس على حواريي المسيح بعد خمسين يوماً من قيامته، وتعتبر التجربة الروحية بنزول الروح القدس على المؤمن بمثابة تعميد روحي له، يجعله ينطلق مبشراً بالإنجيل، وتسمى هذه التجربة الروحية التجربة البينتيكوستية، أو المباركة البينتيكوستية، ومن علامات نجاحها التكلم بألسنة، أي بلغات

من الخطأ البحث عن تطابق داخل هذه التعريفات، فمعظم المسيحيين الأمريكيين يخلطون بين الأفكار اللاهوتية والاجتماعية من هذه المصادر، وبين غيرها داخل البروتستانتية أو المسيحية، ورغم ذلك، فإن وصف الملامح الأساسية لكل من هذه الطوائف وتشعباتها يجعل من السهل فهم الأسلوب الذي يشكل به التوازن الديني في سلوك هذا البلد.

الأصوليون، والمسيحيون الليبراليون، والإيفانجليكيون، هم جزء من التيار التاريخي للبروتستانتية الأمريكية. وقد تأثروا جميعاً بالجدلية التي قامت بين الأصولية والحداثة في مطلع القرن العشرين. وقد اقتنع البروتستانت في القرن التاسع عشر بأن العلم يؤكد تعاليم الكتاب المقدس. ولكن عندما بدأ علم الأحياء الدارويني(*)، وعندما بدأ نقاد الكتاب المقدس بإلقاء مزيد من الشك حول الآراء التقليدية عن عصمة الكتاب وكاتبيه.. بدأ تفكك الحركة البروتستانتية الأمريكية. لذلك أكد المحدثون بأن أفضل طريق للدفاع عن المسيحية في عصر التنوير تتأتى بدمج العلم الحديث مع اللاهوت. فاتبعت الطوائف البروتستانتية الرئيسية هذا النهج، بينما اقتنع الأصوليون بأن تبقى الكنائس على ولائها لأصول العقيدة البروتستانتية... مثل التفسير الحرفي للكتاب المقدس وعصمته.

انقسم الأصوليون أنفسهم إلى شعبتين يمكن التمييز بينهما بالثقافة والمزاج وباللاهوت. وقد أكد الانفصاليون أن على المؤمنين حقاً، هجر الكنائس التي تسامحت مع الحداثة... أو التي سعت إلى حل وسط معها، وكلما أصبح المجتمع الأمريكي وثقافته أكثر علمانية وتعددية، تزايد انسحاب الأصوليين من

بدون تعلمها مسبقاً، وهم بهذا يستندون إلى آيات من العهد الجديد، أعمال الرسل، الإصحاح الثاني "ولما جاء اليوم الخمسون، كان الإخوة مجتمعين معاً في مكان واحد، وفجأة حدث صوت من السماء كأنه ذوي ريح عاصفة، فملأ البيت الذي كانوا جالسين فيه، ثم ظهرت لهم ألسنة كأنها من نار، وقد توزعت وحلت على كل واحد منهم، فامتلؤوا جميعاً من الروح القدس وأخذوا يتكلمون بلغات أخرى، مثلما منحهم الروح أن ينطقوا" ١-٤. انتشرت طائفة البينتيكوستال في العالم، خصوصاً في أمريكا الجنوبية.

(*) – يقصد المؤلف نظرية النشوء والارتقاء لداروين، والتي يراها الحرفيون والأصوليون مخالفة لقصة الخلق كما جاءت في سفر التكوين من الكتاب المقدس، ولهذا ترفض نسبة معتبرة من المدارس الأمريكية تعليم نظرية داروين، ومنها من يشترط تدريسها على التوازي مع نظرية الخلق كما جاءت في العهد القديم.

عالم السياسة والثقافة، في الوقت الذي اتجهت فيه الشعبة الأخرى في الأصولية الأساسية إلى مواصلة الارتباط بباقي دول العالم. وقد أطلق على هذه الطائفة اسم "الإيفانجليكية الجديدة". احتفظ الانفصاليون بلافتة "الأصولية"، بينما أسقط "الإيفانجليكيون الجدد" عبارة "الجدد" هذه..... وباتوا يعرفون اليوم باسم "الإيفانجليكيون" فقط!

تقدم التيارات الثلاثة للبروتستانتية الأمريكية المعاصرة، وهي: (الأصولية والليبرالية والإيفانجليكية) أفكاراً مختلفة حول ما يجب أن يكون عليه دور الدولة في العالم الخارجي. وفي هذا الإطار، تتمركز هذه الاختلافات حول درجة تفاؤل كل منها بإمكانية قيام نظام عالمي مستقر ومسالم ومستنير، مع الاحتفاظ بالقدرة على تحديد الفرق بين المؤمنين وغيرهم. يشعر الأصوليون بالتشاؤم من مستقبل النظام العالمي. ويرون فجوة بين المؤمنين والكفار. في الوقت الذي يشعر فيه الليبراليون بالتفاؤل نحو ما يتوقعون من النظام العالمي.. وإن كانوا يرون اختلافات بسيطة بين المسيحيين وغير المؤمنين، أما الإيفانجليكيون.. فإنهم يقفون في موقع ما، بين هذين الطرفين.

الذين أطلقوا على أنفهم مصطلح "الأصليون"، هم جماعة متنوعة الأفكار ومن الأسباب الجزئية لذلك، عدم الإجماع على تعريف مصطلح "الأصوليون"، خاصة مع التعددية الكبيرة، واللامركزية، في البروتستانتية الأمريكية. فليس هناك مرجعية عامة مقبولة تعرف المصطلح، وبماذا يؤمن الأصوليون. في هذا المقال، نقصد بالأصولي أي شخص يتوفر فيه ثلاث سمات رئيسة: أن يجعل للكتاب المقدس مرتبة عالية من حيث الصحة المطلقة، ومن ثم المرجعية والإلهام/ التصميم القوي على الدفاع عن الإيمان البروتستانتي ضد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية/ والحداثة والعلمانية والنفوذ غير المسيحي/ والاقتناع بأن على المؤمنين فصل أنفسهم عن العالم غير المسيحي.

يمكن أن نجد الأصوليين بين البروتستانت المحافظين، ولدى بعض الطوائف التي تعتبر إيفانجليكية، مثل (المعمدانيين الجنوبيين ومجلس السنودس اللوثري في ميسوري)، حيث توجد هناك أقليات أصولية قوية. تبدو الطوائف الأصولية، مثل الكنيسة الكالفينية المشيخية المغالية، أصغر من طوائف الليبراليين أو الإفانجليكيين. وربما يرجع هذا إلى تفضيل الأصوليين للتنظيمات الأصغر والأطهر ذات العقيدة الصارمة، على التنظيمات الكبيرة المتباينة. كما أن العديد من الجماعات الأصولية تفضل البقاء مستقلة عن أي بنية طائفية.

يعتقد كثير من الأجانب أن الأصولية حركة جوانية مضادة للثقافة. وهذا فيه قدر من الصحة، فمعظم البروتستانت الأمريكيين المحافظين، يولون أهمية كبيرة للتجربة الوجدانية والروحانية. الفارق بين الأصوليين والإيفانجليكيين، لا كمن في مقدار ما يكنه الأصوليون من عاطفة تجاه معتقداتهم، وإنما يكمن في أن الأصوليين يحرصون بشدة على الالتزام والسعي وراء أفكارهم حسب استنتاجاتهم المنطقية. كما حرص الأصوليون أكثر من الإيفانجليكيين على تطوير رؤية مسيحية عالمية واعتناقها، ثم يعملون بشكل منظم على تطبيقها في العالم، ويجمعون على قول واحد يرفض- وكذلك يفعل كثير من الإيفانجليكيين- نظرية "النشوء والارتقاء"، لأن التجربة الشخصية تؤدي إلى اعتقاد الإنسان بأن الكتاب المقدس مرشد معصوم من الخطأ.

أمر آخر، هو تطوير رؤية علمية بديلة من الكتاب المقدس لقصة الخلق ومن ثم وضع كتاب منهجي، ثم إلزام المدارس بتدريسه، أو يتم سحب التلاميذ من المدارس التي لا تقوم بتدريسه. إن المؤسسات ذات السطوة الأصولية، مثل الحركة المعمدانية المستقلة وجامعة بوب جونز، ليست مرتعاً لترويض ثعابين قسس الإحياء، لكنها أماكن للدراسة الجادة، غير التقليدية.

بعد مجموعة متلاحقة من الهزائم الفكرية والسياسية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، آثر الأصليون التراجع إلى عزلة وتشاؤم كانا غريبين على التوجه المتفائل للبروتستانتية الأمريكية في القرن التاسع عشر. وكان من نتيجة ذلك، منح الأصوليين وجهة نظر دفاعية ومنعزلة مشابهة تماماً للبيوريتانية (التطهرية الكالفينية) في نيو إنجلاند قديماً. يؤمن كثير من الأصوليين بالرأي القائل بوجود فجوة كبيرة بين الأرواح القليلة التي اختارها الرب للخلاص، وتلك الأرواح الكثيرة التي كتب عليها الاستقرار في الجحيم. لقد سعى الكالفينيون ذات مرة لتكوين كومنولث ثيوقراطي (لاهوتي) بين "المعاهدون" وحزب "كيرك" في اسكتلندا في عهد حكم أوليفر كرومويل لإنجلترا، وفي نيو إنجلاند الأمريكية في القرن السابع عشر. ولكن في القرون الثلاثة الماضية، أصبح بناء دولة دينية أقل جاذبية، لم تكن التغييرات الديمجرافية وحدها هي التي جعلت من الصعب على الأصوليين تحقيق أغلبية، فقد أوضحت تجارب الكومنولث القديمة أن الأجيال المتعاقبة افتقرت إلى حماسة المؤسسين السابقين وتألقهم، وما يدعو للحزن ولمزيد من الحكمة بين صفوف الأصوليين الأمريكيين، أن تلك التجارب جعلتهم يعتقدون أن سعي الإنسان لبناء عالم أفضل مكتوب له القليل من النجاح. ويتفقون مع الداعية الأمريكي "دوايت مودي" في القرن التاسع عشر، الذي قال في حديثه عن الحراك السياسي "إنني أنظر إلى هذا العالم.. كسفينة غارقة، وقد وهبني الرب قارب نجاة وقال لي: مودي، عليك إنقاذ كل من تستطيع!!".

فإن كان الأصوليون يميلون للتشاؤم من احتمالات إنجاز إصلاح اجتماعي داخل الولايات المتحدة، فهم ضد فكرة نظام عالمي قائم على أخلاقيات علمانية، وعلى مؤسسات دولية مثل الأمم المتحدة. والأصوليون هم أكثر الأمريكيين علماً واهتماماً بقصص الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون في الخارج، ولا يرى الأصوليون أي جدوى أخلاقية في التعاون مع حكومات تضطهد الكنائس وتمنع التبشير، وتعاقب المهتدين إلى المسيحية بموجب "القوانين الإسلامية". وبالنسبة للمؤسسات الدولية مثل

الأمم المتحدة، والتي تتعامل مع هذه الحكومات على أنها "شرعية" فإنها تطبق ما قاله النبي أشعيا "لقد تعاهدنا مع الموت... وعقدنا اتفاقاً مع الجحيم". وليس على سبيل المصادفة أن روايات المخلفون Left behind"(*) والتي تصف نهاية العالم من منظور أصولي، قد أوضحت كيفية صعود أعداء المسيح إلى السلطة، مثل الأمين العام للأمم المتحدة.

وأخيراً، يلتزم الأصوليون برؤية سفر الرؤيا في ما يخص نهاية العالم... ويوم الحساب. ومثلهم مثل يأخذون الكتاب المقدس حرفياً، فإنهم يرون أن النبوءات المظلمة، كما جاءت في العهد القديم وفي سفر "رؤيا يوحنا" في العهد الجديد، تتنبأ بالأحداث المرعبة التي سيسدل عندها ستار تاريخ البشرية.. وعندئذ سيقوم الشيطان وأتباعه من بني الإنسان بالثورة الأخيرة ضد الرب و"المختار"، وسوف يلاقي "المؤمنون" اضطهاداً رهيباً، لكن المسيح سوف يسحق أعداءه ويبسط حكمه على سموات جديدة وأرضي جديدة.وطبعاً لا تتفق هذه الرؤيا مع فكرة التقدم التدريجي نحو يوتوبيا علمانية يقودها التقدم التكنولوجي بالتعاون مع المثقفين من كل الديانات.

التفكير الليبرالي:

ترى الليبرالية المسيحية أن التعاليم الأخلاقية هي جوهر الدين المسيحي.. وليست معتقداته الكلاسيكية. وقد عمل هذا التيار الفكري المسيحي في القرن السابع عشر على تجريده من العناصر الأسطورية أو (الميثولوجية) كي يفصل جوهر الدين عن غطائه الأسطوري الذي ظل ملتحماً به. يشعر المسيحيون الليبراليون بالارتياب نحو تلك المذاهب المعقدة عن طبيعة المسيح والثالوث المقدس، والتي ظهرت في القرون المبكرة من تاريخ الكنيسة. فهم يمتنعون عن قبول مجموعة الأحداث المختلفة في الكتاب المقدس، مثل خلق العالم في سبعة أيام، وجنة عدن وطوفان نوح، على أنها روايات حرفية، وغالباً

(*)– سلسلة كتب روائية، كتب أصولها القس تيم لاهاي وحولها لروايات الكاتب جيري جينكينز، وبيع منها ٦٠ مليون نسخة– المترجم.

ما تمتد شكوكهم إلى القيامة الجسدية للمسيح والمعجزات المنسوبة إليه. وبدلاً من الاعتقاد بأن المسيح كان مخلوقاً خارقاً للطبيعة، فإن المسيحيين الليبراليين يرونه كمعلم أخلاقي جليل، ونموذج سام يحتذون به طوال سنوات رسالته الموجهة أساساً للفقراء. فمثلاً كنيسة "التوحيد"، والتي أدخلها العالم واللاهوتي الإنجليزي الأصل "جوزيف بريستلي" إلى الولايات المتحدة عام ١٧٩٤، هي طائفة يقوم جوهر بنائها حول هذه الأفكار الأساسية. كان "بريستلي" صديقاً لبنيامين فرانكلين، وكان له نفوذ "لاهوتي" واضح على توماس جيفرسون برغم ذهاب كل من فرانكلين وجيفرسون إلى الكنيسة الأسقفية. وقد أدت "الداروينية... ونقد الكتاب المقدس" إلى الارتياب في الدقة الحرفية لكثير من روايات الكتاب المقدس، وانتشرت الليبرالية في التيارات الرئيسية للطوائف البروتستانتية، بما فيها الكنائس الميثودية والمشيخية، والمعمدانية الأمريكية، والأبرشية، والأسقفية، واللوثرية. والتي تتبعها عادة الصفوة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الولايات المتحدة.

برغم أن المسيحيين المحافظين عقدياً، عادة ما يرون في التقدمية خروجاً عن التيار المسحي الرئيسي، يزعم المسيحيون الليبراليون أنهم يمثلون جوهر البروتستانتية. فالإصلاح- في نظرهم- يمثل أول مرحلة في استعادة جوهر المسيحية، وقد برأ الإصلاحيون الأصليون الكنيسة من صكوك الغفران والمطهر، وعصمة البابا، وتحويل خبز القربان ونبيذه إلى جسد المسيح ودمه. وبهجوم المسيحيين الليبراليين على العقائد المسيحية الراسخة، مثل الثالوث المقدس والخطيئة الأصلية ووجود الجحيم، يعتقدون أنهم يتبعون "المبادئ البروتستانتية".

ويرى المسيحيون الليبراليون الفارق بين المسيحيين غير المسيحيين بصورة أقل مما تراه الطوائف الرئيسية للبروتستانتية، حيث يعتقد المسيحيون الليبراليون أن الأخلاق واحدة في كل العالم، إذ يمكن للبوذيين والمسيحيين والهندوس واليهود والمسلمين، وحتى غير المؤمنين، أن يتفقوا جميعاً حول ما هو

صواب وما هو خطأ. فكل ديانة تحظى في جوهرها بجزء من الحقيقة الأخلاقية، وتلعب فكرة أن الكنيسة مجتمع متسام عن الطبيعة يتمتع أعضاؤه بفضائل خاصة، دوراً ضئيلاً في المسيحية الليبرالية.

ولأن معظم المسيحيين الليبراليين قد نبذوا عقيدة الخطيئة الأصلية (بالاستثناء المهم للمسيحيين الواقعيين، مثل عالم اللاهوت "رينولد نيبور") فإن المسيحية الليبرالية تقود المسيرة للتفاؤل بإمكانية قياد نظام دولي ينعم بالسلام، ومؤسسات دولية مثل الأمم المتحدة، وفي الحقيقة رأى المسيحيون الليبراليون الصراع من أجل إقامة مملكة الرب، دعوة عامة لدعم القضايا السياسية التقدمية داخل البلاد وخارجها. ويؤكدون أن النبوءات المظلمة من كتاب "رؤيا يوحنا" تشير إلى صعوبة إقامة نظام اجتماعي عادل فوق الأرض. لكن هذا النظام سيأتي لا محالة إذا سعى الناس جميعاً لإقامته.

لقد هيمنت البروتستانتية الليبرالية على المنظور السياسي الدولي للولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة. وقد انغمس زعماء سياسيون في هذا التراث، أمثال فرانكلين روزفلت وهاري ترومان ودين أتشيسون ودوايت أيزنهاور وجون فوستر دالاس، مثلهم في ذلك مثل النخبة في أمريكا. فتح المفهوم المسيحي الليبرالي الباب للتعاون مع الكاثوليك الرومان واليهود، الذين كانوا في طريقهم لزيادة نفوذهم داخل الولايات المتحدة. كما نجد أن التفاؤل الذي يقترب به المسيحيون الليبراليون من مشاكل النظام الدولي الجديد، والتعاون عبر الخطوط العرقية والدينية، يعكس نجاحهم المبكر في تكوين إجماع للرأي داخل المجتمع.

لقد واجهت المسيحية الليبرالية في السنوات الأخيرة العديد من التحديات.

أولاً: أنها تميل إلى الذوبان داخل العلمانية، ومن ثم يتبع أعضاؤها المبدأ "البروتستانتي" بالخروج من باب الكنيسة، وبذلك تنكمش الطوائف الرئيسية للمسيحية الليبرالية. ثانياً: يرتبط المسيحيون الليبراليون بعلاقات فاترة بالقضايا والمسارات الدينية. قد يكونون من حماة البيئة أو على علاقة بـ "نادي

سيرا" أو ناشطين في قضايا حقوق الإنسان، أو على علاقة بمنظمة العفو الدولية (أمنستي)، ولكن تلك الأنشطة تشغل مكاناً داخل العالم العلماني. ثالثاً: بابتعادهم عن الكنيسة الكاثوليكية الهيراركية (الهرمية) بسبب موقفهم من قضايا الإجهاض وعلاقات المثليين وحقوقهم، كذلك ابتعادهم عن اليهود بسبب تآكل دعمهم لإسرائيل، بذلك فقد المسيحيون الليبراليون دورهم التقليدي في "لم الشمل" داخل مجتمع متعدد الأديان.

أخيراً، فإن التيار الرئيسي للطوائف البروتستانية، يزداد استقطابه حول بعض القضايا مثل حقوق المثليين، وبسبب استنزافهم في معارك داخلية، أصبحوا أقل قدرة على التأثير في المجتمع الأمريكي.

الإيفانجليكيون... والطريق الوسط

يقع الإيفانجليكيون- وهم ثالث شعبة رائدة في البروتستانتية الأمريكية- بين الأصوليين والليبراليين، ويشترك جوهر معتقداتهم مع الجذور العامة للأصولية، لكن تأثرت أفكارهم عن العالم بقيم التفاؤل المستوطنة داخل المجتمع الأمريكي. وبرغم وجود اختلافات لاهوتية داخل هذه الجماعة، إلا أنها قد تشكلت بصفة عامة بـ "الكالفينية الناعمة" للاهوتي الهولندي "جاكوب أرمينيوس" في القرن السادس عشر، وتأثرت كذلك بأفكار الإيفانجليكيين الإنجليز مثل "جون ويزلي" (الذي حمل تراث حركة التقوى الألمانية)، وفي الولايات المتحدة تأثرت بتجربة حركة الصحوة الكبرى، وما تلتها من حركات إحياء ديني متعاقبة في القرن الثامن عشر.

وتعد طائفة "مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين" هي الطائفة الرائدة في الولايات المتحدة، وهي أكبر طائفة أيضاً بأعضائها البالغين ١٦,٣ مليون عضو. أما الطائفة الإيفانجليكية التي تليها في الحجم فهي "الكنائس الإفريقية الأمريكية" بما فيها "مؤتمر المعمدانية القومية في الولايات المتحدة، ويليه مؤتمر المعمدانية في أمريكا" التي تفيد التقارير أن كلاً منهما يضم قرابة ٥ ملايين عضو. وتعد كنيسة "الرب في

المسيح الأمريكية الإفريقية" بأعضائها البالغين ٥,٥ ملايين عضو، أكبر طائفة خمسينية في البلاد، ثم "جمعيات الرب" سريعة النمو التي يبلغ أعضاؤها ٢,٧ مليون، وهي أكبر طائفة خمسينية بدون غالبية سوداء. أما الكنيسة اللوثرية في سنودس ميسوري والبالغ أعضاؤها ٢,٥ مليون، فهي ثاني أكبر طائفة إيفانجليكية ذات سيادة بيضاء. ومثل الأصوليين، فإن الإيفانجليكيين البيض يوجدون غالباً في المجتمعات المستقلة والطوائف الصغيرة. أما "منظمات شبه الكنائس" مثل "الحرم الصليبي للمسيح" و"المحافظون على العهد" و"مترجمو ويكليف للكتاب المقدس" فهم عادة ما يحلون محل، أو يكملون أبنية الطوائف التقليدية بين الإيفانجليكيين.

يتشابه الإيفانجليكيون مع الأصوليين في كثير من النواحي، فالإيفانجليكيون مثل الأصوليين يولون أهمية كبيرة للعقائد في المسيحية وليس فقط للتعاليم الأخلاقية. ويرى الإيفانجلكيون والأصوليون أن تأكيد الليبراليين على ترجمة الأخلاقيات إلى معتقد (بدلاً من المعتقدات اللاهوتية)، وأن العمل الطيب والوفاء بالواجب الأخلاقي، هما الطريق إلى الله، يعد خيانة لرسالة المسيح، ويؤكدون على أن الإنسانية عاجزة تماماً عن الوفاء بأي فضائل أخلاقية بسبب الخطيئة الأصلية، وأن الاعتقاد بأن الرسالة الأساسية للمسيحية هي سعي الإنسان لإسعاد الرب بإتباع الأخلاقيات السامية.. هو محتوم الفشل، فالذي يخلص الإنسان هو صلب المسيح ثم قيامته. إن ما يعنيه الأصوليون الإيفانجليكيون بعبارة "يولد من جديد" هو القبول بطبيعة الإنسان الخاطئة، وقبول تضحية المسيح. وعندما يضع المسيحيون الليبراليون قضية الأخلاق في مكان القلب من لاهوتهم، يتساءل الأصوليون والإيفانجليكيون إن كان هؤلاء الليبراليون يدركون المعنى الحقيقي للمسيحية(؟!).

يولي الإيفانجيليكيون أهمية كبيرة للفرق بين من "تخلصوا من الخطيئة... ومن لم يتخلصوا". وهم يعتقدون، مثل الأصوليين، أن من يموتون دون الاعتراف بالمسيح المخلص، كتب عليهم الانفصال

الأبدي عن الرب. وأن البشر الذين لم يخلصوا من الخطيئة لا يمكنهم القيام بأي عمل طيب من تلقاء أنفسهم.

أخيراً فإن معظم الإيفانجليكيين يتفقون مع الأصليين في رؤيتهم لنهاية العالم. بينما يعتقدون جميعاً أن نبوءات الكتاب المقدس سوف تتحقق، ويتفق أكثرهم مع الأصوليين على المرحلة المسماة "قبل الألفية": أي الاعتقاد بأن المجيء الثاني للمسيح سوف يسبق الألفية- المتنبأ بها- من عصر السلام. وعلى ذلك فإن كل جهود البشر لبناء عالم قائم على السلام، ستفشل.

بعد عرض أوجه الشبه السابقة، لم يعد مستغرباً أن يخلط كثير من المراقبين بين الإيفانجليكيين والأصوليين، ظناً منهم أن الأوائل صورة مخففة من الأواخر. إلا أن هناك اختلافات مهمة بين الأصوليين والإيفانجليكيين في رؤية العالم، وبرغم أن موقف اللاهوت من هذه القضايا تقنى جداً وبفوارق لا تكاد تذكر، إلا أن الإيفانجيليكيين يميلون إلى المضي تحت تأثير شكل إيجابي من الكالفينية، وبينما الموقف المتشدد هو أن تضحية المسيح فوق الصليب تمت من أجل خلاص عدد قليل من الأرواح التي عزم الرب على إنقاذها، ولا أمل للآخرين في الخلاص، نفسياً وعقدياً، فإن للإيفانجيليكيين الأمريكيين- بشكل عام- رؤية أقل قتامة من الأصوليين، فهم يعتقدون أن "الخلاص" متاح لكل الناس، وأن الرب يمنح كل إنسان ما يكفيه من نعم إلهية تمكنه من اختيار الخلاص إذا أراد. تقسم عقيدة الكالفينيين الصارمة البشرية إلى معسكرين، يجمع بينهما القليل. وفي رأي الإيفانجليكية السائدة أن الرب يحب كل الأرواح، ويحزن إن ضلت إحداها وانه يسعى لإنقاذها جميعاً.

يعلن كل المسيحيين، أصوليين أو ليبراليين أو إيفانجليكيين- على الأقل رسمياً- مسؤولية إظهار مشاعر الحب والرحمة تجاه كل إنسان مسيحياً كان أو غير مسيحي. وهذا الأمر له أهمية خاصة عند الإيفانجيليكيين الذين يؤمنون بأنه يمكن إنقاذ البلايين من الأرواح الهالكة... من أجل المسيح. والدليل

على ذلك ما يقدمونه كل يوم من مساعدة للمحتاجين، وفعالية أتباعهم للأناجيل، وبذلك يمكن إعادة الأرواح الضالة إلى المسيح مرة أخرى والمساعدة على تنفيذ الخطة الإلهية. وبذلك يعزز الإيفانجيلكيون رسالة المسئولية المسحية إلى العالم. ونتيجة لذلك، فعادة ما ينفتح الإيفانجليكيون على العمل مع غير المؤمنين، بل يتطلعون إلى العمل الاجتماعي في مشروعات تهدف إلى رخاء البشرية، حتى وإن ظلوا على اعتقادهم بأن الذين يرفضون المسيح لا يمكن اتحادهم بالرب بعد الموت.

من الصعب التنبؤ بما سيفعله الإيفانجليكيون. أظهرت استطلاعات الرأي الأخيرة أن أغلبية معتبرة من الأمريكيين يرفضون نظرية "النشوء والارتقاء". لقد شحذ الصحفيون والمثقفون داخل الولايات المتحدة وخارجها قواهم لشن هجوم ضار على الداروينية، ومع ذلك، وحتى في ولايات مثل ألاباما ميسيسيبي وكارولينا الجنوبية، تضم عدداً كبيراً ونشطاً من المسيحيين، فإن جامعاتها ماضية في تدريس علم الفلك وعلم الوراثة وعلم طبقات الأرض وعلم الحفريات دون اهتمام بعلم الكونيات الديني، مع استمرار الولايات المتحدة في دعم أكثر الجماعات العلمية نجاحاً في العالم. لا يشعر معظم الإيفانجليكيين بغرابة ذلك التناقض، ولا يرغبون في تغييره، عكس الأصوليين، فالنفعية في ثقافة الولايات المتحدة تتحد مع ما يمكن اعتباره التوجه الديني الإيفانجليكي المضاد للثقافة، لخلق نوع من التسامح واسع الانتشار مع مستوى من التنافر المعرفي الذي قد لا يتسامح معه البعض. وفي القرن السابع عشر، عارضت هارفارد البيوريتانية كوبرنيكس (في قوله أن الأرض تدور حول الشمس). أما اليوم فإن أمريكا الإيفانجليكية راضية تماماً على أن يبقى التناقض بين تاريخ الكتاب المقدس... وسجل الحفريات، بدون حل!! وما لا يقبله الإيفانجليكيون هو ما يسميه البعض مذهب "العلمية"، أي محاولة فرض تعليم "النشوء والارتقاء" أو أي موضوع آخر... بطريقة تلغى إمكانية وجود الله وفاعليته.

يتفاءل الإفانجليكيون- أكثر من الأصوليين- بالتقدم الأخلاقي، إن أقلية "ما بعد الألفية" (تعتقد أن المسيح سيعود مرة أخرى بعد ألف سنة من السلام العالمي وليس قبل ذلك) تؤمن بأن هذه العملية الإصلاحية يمكن أن تستمر، حتى يصل المجتمع الإنساني إلى درجة من القداسة، مؤداها: أن التقدم الديني للأفراد والمجتمعات يمكن أن يبلغ ذروته بإنشاء مملكة السلام، بعد عملية الإصلاح التدريجي. وهذه رؤية تاريخية تنسجم مع تفاؤلية المسيحيين الليبراليين. وقد عمل كل من الإيفانجليكيين والمسيحيين الليبراليين معاً في كثير من المساعي من أجل التقدم الأخلاقي داخل الوطن وخارجه عبر فترات مختلفة من التاريخ الأمريكي. وبرغم أن أكثرية "ما قبل الألفية" (عقيدة المجيء الثاني للمسيح قبل الألفية السعيدة، ذلك المجيء هو الشرط والبشارة بمقدم تلك الألفية) تشعر بتفاؤل أقل، تجاه نجاح هذه المساعي، فإن الإيفانجليكيين الأمريكيين يتمسكون بتفاؤلهم تجاه تحسن الوضع الإنساني.

في كتابه الذي صدر عام ٢٠٠٥ تحت عنوان "تخيل!! أمريكا المباركة كيف يمكن حدوث ذلك؟ وما يجب أن تكون عليه؟" يقول الإيفانجليكي المحافظ ريتشارد لاند، مبرراً تفاؤلهم:

"أعتقد أنه يمكن حدوث صحوة أخرى كبرى في بلادنا.. أي بعث للأمة كلها. فالكتاب المقدس يقول لنا... لا أحد يعرف يقيناً في أي يوم أو في ساعة يعود المسيح. وبالتالي لا يجوز أن نتخلى عن العالم ونتركه في شقائه. كما لا يوجد موضع في الكتاب المقدس يطلب منا أن نحتشد متشائمين في جيتو مسيحي.. محاولين اختطاف المتمسحين من العالم".

ميزان القوى

شهدت الحقب الأخيرة تغييرات هامة في ميزان القوى الدينية في الولايات المتحدة. لقد وصلت إلى الذروة عضوية الكنائس الليبرالية ذات الهيمنة البروتستانتية التاريخية في الستينيات من القرن الماضي، ومنذ ذلك الحين انخفضت بشدة عضوية الطوائف الرئيسية برغم ازدياد عدد المسيحيين الأمريكيين.

وبالرجوع إلى ما نشرته "المسيحية اليوم" فإنه منذ عام ١٩٦٠ وحتى ٢٠٠٣م.. زاد التناقض في أعداد أعضاء الطوائف الرئيسية على ٢٤٪، (نقصت من ٢٩ مليون إلى ٢٢ مليون)، وصاحب هذا هبوط أكثر دراميـة في حصتهم بين الأمريكيين. في عام ١٩٦٠م، كان أكثر من ٢٥٪ من كل أعضاء الجماعات الدينية في الولايات المتحدة ينتمون إلى سبع طوائف بروستتانتية أساسية، وفي عام ٢٠٠٣م، هبط هذا الرقم إلى ١٥٪، وصدر تقرير عن مركز بيو للأبحاث يفيد أن ٥٩٪ من البروتستانت في عام ١٩٨٨ عرفوا أنفسهم بانتمائهم إلى الخط البروتستانتي الرئيس، لكن في عام ٢٠٠٢/٢٠٠٣م هبطت هذه النسبة إلى ٤٦٪ وفي الفترة ذاتها ارتفعت النسبة من البروتستانت الذين عرفوا أنفسهم بأنهم إيفانجليكيون من ٤١٪ إلى ٥٤٪.

في عام ١٩٦٥، وصل عدد البروتستانت الأسقفيين إلى ٣,٦ ملايين، أي ١,٩٪ من إجمالي عدد السكان. وبمجيء عام ٢٠٠٥ هبط هذا الرقم إلى ٢,٣ مليون فقط، أي ٠,٨٪ من إجمالي عدد السكان، كما هبط أعضاء الكنيسة اليثودية المتحدة من ١١ مليون في عام ١٩٦٥م إلى ٨,٢ ملايين في عام ٢٠٠٥. وفي الفترة الزمنية نفسها هبط عدد أعضاء الكنيسة المشيخية من ٣,٢ ملايين إلى ٢,٤. أما في كنيسة المسيح المتحدة.... فقد وصل الهبوط إلى ٥٠٪ تقريباً.

أثناء ذلك، وبرغم ظهور مؤشرات دالة على بطء النمو بعد عام ٢٠٠١، فقد ضم "مؤتمر المعمدانية الجنوبية" ما يزيد على سبعة ملايين عضو، ليصبح بذلك أكبر طائفة بروتستانتية في البلاد. وفيما بين عامي ١٩٦٠و٢٠٠٣.. قام المعمدانيون الجنوبيون بضم أعضاء إليهم يزيدون كثيراً على ما فقده الميثوديون والمشيخيون والأسقفيون وأعضاء كنيسة المسيح المتحدة مجتمعين. وفي عام ١٩٦٠ كان هناك ميثوديون أكثر من المعمدانيين الجنوبيين بحوالي ٢ مليون، لكن بمجيء عام ٢٠٠٣، زاد عدد المعمدانيين على الميثوديين والمشيخيين والأسقفيين وأعضاء كنيسة المسيح المتحدة مجتمعين.

كان تأثير هذه الاتجاهات على السياسة الوطنية بالغ الوضوح، فقد زود الإيفانجليكيون جورج بوش بنسبة ٪٤٠ من إجمالي الأصوات في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٤، إذ حصل على ٪٦٨ من أصوات الإيفانجليكيين البيض في انتخابات عام ٢٠٠٠، وارتفعت النسبة إلى ٪٧٨ في انتخابات عام ٢٠٠٤.

(ذهبت أغلبية أصوات الإيفانجليكيين من الأفارقة الأمريكيين إلى الديمقراطيين. ولدى الأمريكيين ذوي الأصول الإسبانية، كان وضع جورج بوش أقوى في الأقلية البروتستانتية المتنامية بينهم أكثر من الكاثوليك . ومع ذلك ، أيد بوش البروتستانت و الكاثوليك الملتزمون دينياً).

لعب الإيفانجليكيون دوراً رئيساً في انتخابات الكونجرس، ومجلس الشيوخ معاً. وقد زاد عدد المعرفين ذاتياً من الإفانجليكيين داخل المجلسين من ٪١٠ في عام ١٩٧٠ إلى ٪٢٥ في عام ٢٠٠٤.

ظل نفوذ الأصوليين أقل برغم الزيادة في أدائهم وفي فاعليتهم السياسية. ربما كان السبب وراء هذا أن "التفاؤلية" المنتشرة في الولايات المتحدة استمرت في تحجيم لاهوت الكالفينية المغالية. كما ظلت السياسة الدينية في الولايات المتحدة لعبة تحالفات، ظل فيها لاهوت الأصوليين- الذي استمر في رؤيته للكاثوليكية باعتبارها عبادة شريرة- ضعيف الأثر. ومما جعل الأمور أكثر تعقيداً، التمزق الذي أصاب الأصوليين بين موقفين سياسيين متناقضين: الانسحاب الغاضب من عالم معلون... أو.. محاولة طموحة لبناء كومنولث بيوريتاني جديد.

وفي النهاية، يبقى كثير من الإفانجليكيين منارئين للاتجاهات الأصولية، قال فرانك ييج الرئيس الجديد لتجمع المعمدانيين الجنوبيين بعد انتخابه في يونيه ٢٠٠٦:

"أنا أؤمن بكلمة الرب..... لكني لست مجنوناً بها".

في العالم الخارجي

أثر النفوذ المتزايد للإيفانجيلكيين في السياسة الخارجية للولايات المتحدة بأساليب عدة. ففي مسألة حب الخير للبشر وسياسات حقوق الإنسان، تقوم قيادات الإيفانجليكيين بإعادة ترتيب الأولويات والأساليب... وفي الوقت ذاته تزيد من تأثيرها القوي على المساعدات الخارجية... والدفاع عن حقوق الإنسان. وبالنسبة للمسألة الإسرائيلية، فقد عمقت قوة الإيفانجيليكيين المتزايدة من دعم الولايات المتحدة للدولة الصهيونية، حتى في الوقت الذي نأت فيه المؤسسة المسيحية الليبرالية بنفسها عن القدس.

في مثل هذه القضايا وغيرها، فإن القوى السياسية الإيفانجليكية لا تقود الولايات المتحدة اليوم إلى اتجاه جديد تماماً، لقد سبق أن شاهدنا على الأقل أجزاء من هذا الفيلم من قبل: كان الإيفانجليكيون هم القوة المهيمنة على الثقافة الأمريكية خلال معظم القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وتغير اتجاه البلاد في السنوات الأخيرة تغيراً واضحاً للعيان.

ساند الإيفانجليكيون في عالم الأنجلو أمريكان سياسات الإنسانية وحقوق الإنسان العالمية، فعلى سبيل المثال، قاد الإيفانجليكي ويليام ويلبرفورس الحركة المناهضة للعبودية في انجلترا، كما كان الإيفانجليكيون هم المؤيدين الدائمين لحركات التحرير الوطنية إبان القرن التاسع عشر، حيث كانت

الأقليات المسيحية تسعى للتخلص من الحكم العثماني. وقاد الإيفانجليكيون عدداً من حملات الإصلاح ذات الملامح الإنسانية:

ضد التضحية بالمرأة عند وفاة زوجها في الهند، وضد تقييد أقدام الفتيات في الصين، ومع قضية تعليم المرأة في دول العالم النامي، وضد تجارة الجنس بين البشر (الرقيق الأبيض) في أي مكان. وأظهر الإيفانجليكيون اهتماماً بالغاً بقضايا لها علاقة بإفريقيا.

وبما أن الإيفانجليكيين قد عادوا مؤخراً إلى موقع القوة في السياسة الأمريكية، فقد ساندوا قضايا شبيهة بتلك، وأضافوا دفعة جديدة لمساعي الولايات المتحدة في مجال الخير للبشر. وتحت حكم الرئيس جورج بوش، وبدعم قوى من مايكل جيرسون (إيفانجليكي شغل منصب المستشار السياسي للرئيس بوش.. وكاتب خطبه) ارتفعت مساعدات أمريكا إلى إفريقيا بنسبة ٦٧٪ متضمنة خمسة عشر بليون دولار لتغطية نفقات جديدة لبرامج مكافحة الإيدز. وقام بعض السياسيين الأفارقة مثل النيجيري أولسيجون أوباسانجو والأوغندي يورى موسيفيني مستغلين أوراق اعتمادهم الإيفانجليكية لتعزيز نفوذهم في واشنطون، كما فعل من قبل الصيني صن يات سين والسيدة شيانج كاي شيك. وبفضل الضغط الإيفانجليكي، أصبحت الجهود المبذولة لقمع تجارة الرقيق، والاستغلال الجنسي للنساء والأطفال ذات أولوية متقدمة في السياسة الخارجية الأمريكية، وكذلك قادت البلاد إلى النضال لإنهاء الحرب في السودان. وقام ريك وارين (راعي أكبر كنيسة في جنوب كاليفورنيا.. ومؤلف كتاب "الحياة ذات

الهدف"، والذي سجل أعلى توزيع في تاريخ النشر في الولايات المتحدة) [٢٥ مليون نسخة] بتجنيد حشد من ٢٢٠٠٠ من رعاياه للمساعدة في الحرب على الإيدز في العالم كله، كما قام بعقد حول هذا الموضوع وبتدريب متطوعين وبإقامة علاقات بالكنائس في رواندا.

لم يتبع الإيفانجليكيون- ببساطة- أجندة حقوق الإنسان وحب الخير للبشر التي وضعها القادة الليبراليون والعلمانيون. فقد جعلوا الحرية الدينية هي محور جهودهم، بما في ذلك حرية الدخول في دين ما أو التحول من دين إلى دين آخر. والشكر كل الشكر لجهود الإيفانجليكيين في جعل الكونجرس يمرر قانون "الحرية الدينية العالمية.. في عام ١٩٩٨" (مع وجود دور للكاثوليك واليهود أيضاً في هذا الشأن) وبذلك تم إنشاء مكتب للحرية الدينية العالمية داخل وزارة الخارجية الأمريكية المتشككة.

برغم هذه المبادرات الحكومية، إلا أن الإيفانجليكيين- ولأسباب ثقافية ولاهوتية- يرتابون في المساعدات الحكومية، وفي المنظمات متعددة الأطراف.. فهم يفضلون منظمات القواعد الشعبية.. وتلك القائمة على أسس إيمانية. بشكل عام، ويسارع الإيفانجليكيون بقوة في دعم الجهود المبذولة في مواجهة مشاكل محددة، ويرتابون في جهود التنمية ذات الأهداف الكبيرة وبعيدة المدى. إن ردود أفعالهم قوية جداً تجاه حالات محددة من المعاناة الإنسانية أو الظلم. إنهم يولون اهتمامهم لحل المشاكل أكثر من بناء المؤسسات.

(يبدي المسيحيون الليبراليون أسفهم على هذه الصفة التي يعتبرونها دليلاً على الثقافة الإيفانجليكية المضادة للثقافة).

تعد سياسة الولايات المتحدة تجاه إسرائيل... منطقة أخرى يظهر فيها بجلاء نفوذ الإيفانجليكيين المتنامي. فقد كان لهذه العلاقة، ولا يزال، تاريخ طويل. والحقيقة أن الصهيونية البروتستانتية الأمريكية أقدم من الصهيونية اليهودية المعاصرة. فقد تكررت في القرن التاسع عشر مطالب الإفانجليكيين للمسئولين في الولايات المتحدة لإنشاء مأوى لليهود المضطهدين في أوروبا والإمبراطورية العثمانية، في الأراضي المقدسة.

اللاهوت الإيفانجليكي الأمريكي له رؤية فريدة لدور الشعب اليهودي في العالم الحديث. فمن ناحية، يشارك الإفانجليكيون في الرؤية المسحية واسعة الانتشار بأن المسيحيين يمثلون أبناء إسرائيل الجدد والحقيقيين، وهم ورثة وعود الله لليهود القدامى. وعلى عكس مسيحيين كثيرين، يعتقد الإيفانجليكيون أن للشعب اليهودي دوراً مستمراً في تحقيق أهداف الله، ففي القرنين ١٧ و١٨، أقنعت دراسة دقيقة لنبوءات الكتاب المقدس الدارسين والمؤمنين الإيفانجليكيين بأن اليهود سيعودون إلى الأراضي المقدسة قبل العودة المظفرة للمسيح. علاوة على ذلك، فبرغم أنه من المتوقع أن تعيد السنوات المضطربة السابقة لعودة السميح عدداً من اليهود إلى المسيح، يعتقد كثير من الإيفانجليكيين أنه حتى ذلك الوقت سيظل معظم اليهود على رفضهم له. يخفف هذا الاعتقاد من التوتر المتوقع بين الإيفانجليكيين واليهود، حيث لا

يتوقع الإيفانجليكيون ما توقعه مارتن لوثر من تحول أعداد كبيرة من اليهود إلى المسيحية بمجرد معرفتهم بالإيمان الحقيقي، وقد أدى غضب لوثر حين لم يجد استجابة لتوقعاته إلى تزايد عدائه للسامية. وهذا ما لا يمكن حدوثه للإيفانجليكيين المعاصرين.

وجد الإيفانجليكيون أن استمرار وجود الشعب اليهودي، هو دليل قوي على وجود الله، وعلى سلطته عبر التاريخ. ويروي سفر التكوين أن الرب قال لإبراهيم "سأجعل منك أمة عظيمة... وسوف أباركك... وأبارك من يباركك.. وألعن من يلعنك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض". ويرى الإيفانجليكيون في بقاء اليهود أحياء عبر العصر الألفي، وفي عودتهم إلى وطنهم القديم، دليلاً على أن الله حق، وأن الكتاب المقدس موحى به، وأن الديانة المسيحية حق.

بعودة الإيفانجليكينن إلى السلطة

منحوا طاقة ودعماً جديدين للجهود الإنسانية للولايات المتحدة.

يعتقد الكثيرون أن وعد الرب لإبراهيم في سفر التكوين ما زال قائماً، وأن رب إبراهيم سوف يبارك الولايات المتحدة طالما تبارك هي إسرائيل، ويرون في ضعف العالم العربي وهزائمه وفقره، دليلاً شديد الوضوح على أن الرب يلعن من يلعن إسرائيل.

إن النقد الموجه إلى إسرائيل، وإلى الولايات المتحدة لدعمها إسرائيل، لا يؤثر في الإيفانجليكيين، بل إن كراهية العالم لإسرائيل، تقوي إيمانهم، لأن من المفهوم أن يكره الإنسان الساقط (في الخطيئة)

شعب الله المختار، ووقوف الإيفانجليكيين بجانب إسرائيل هو وقوف بجانب الله. وهو أمر يجعلهم مستعدين لمجابهة العالم كله. كتب جون هاجي، رئيس رعاة كنيسة إيفانجليكية كبيرة تضم ثمانية عشر ألف عضو في سان أنطونيو، في تكساس، ومؤلف العديد من الكتب التي اختارتها "النويورك" كأكثر الكتب مبيعاً:

"إذا تحركت إيران للهجوم على إسرائيل، فعلى الأمريكيين أن يكونوا على استعداد لوقف هذا العدو الشرير في مكانه".

وأضاف أيضاً "إن سياسة الله تجاه الشعب اليهودي موجودة في سفر التكوين ١٢-٣" [وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك وتتبارك فيك جميع أمم الأرض].

ويحذر أيضاً "إن أميركا تقف في مفترق الطرق، فهل نطيع كلمة الله لإسرائيل أو نستمر في مراوغتنا... ونتعاطف مع أعداء إسرائيل؟".

إن عودة إسرائيل إلى الأراضي المقدسة، وانتصاراتها غير العادية على أكبر الجيوش العربية، وارتفاع مد الكراهية الذي يهدد اليهود داخل إسرائيل وخارجها، هي أمور ليست فقط تزيد من قوة دعم الإيفانجليكيين لإسرائيل، بل أيضاً تعزز مكانة العقدية الإيفانجليكية في الحياة الأمريكية، والتي تقرأ فيها قصة اليهود المعاصرين وكأنها جزء من الكتاب المقدس. ولا يزال الهولوكست حافلاً بالذكريات المؤلمة عن سعي الفرعون لإبادة الشعب اليهودي في سفر الخروج، وما فعله هامان في سفر إستير. يذكرنا إنشاء

دولة إسرائيل بالكثير من الانتصارات الشبيهة كما جاءت في الكتاب المقدس. يعتبر الإيفانجليكيون الأحداث غير العادية في التاريخ اليهودي الحديث دليلاً على وجود الله، ودوره الفعال في التاريخ. أضف إلى ذلك التبعات النفسية للأسلحة النووية، مما يجعل الإيفانجليكيين يشعرون أنهم في عالم أشبه بعالم الكتاب المقدس.

تتمركز السياسة الخارجية الأمريكية حول حماية الدولة من التهديد الإرهابي، الذي يشتمل- على الأرجح- على الأسلحة المخيفة التي تظهر في سفر الرؤيا، والتي يستخدمها المتعصبون ضد المسيحية، ليشعلوا حرباً دينية وقودها كراهية إسرائيل. كل ما سبق يقوى مزاعم الإيفانجليكيين.

لقد دعم المسيحيون الليبراليون في الولايات المتحدة (مثل الليبراليين العلمانيين) الصهيونية، بشكل تقليدي لكن بمنظور مختلف. فاليهود عندهم شعب مثل أي شعب آخر، وبالتالي ساندوا الصهيونية بالطريقة نفسها التي ساندوا بها الحركات القومية المضطهدة. وفي العقود الحديثة، زاد المسيحيون الليبراليون من تعاطفهم مع الحركة القومية الفلسطينية على الأسس نفسها. وفي عام ٢٠٠٤، مررت الكنيسة المشيخية مشروع قرار يقضي بالتصفية المحدودة للشركات التي تعمل في إسرائيل (تم إبطال هذا القرار في عام ٢٠٠٦ بعد معركة مريرة). أوضحت إحدى الدراسات أن ٣٧٪ من تصريحات الاستنكار الصادرة عن الكنائس البروتستانتية الرئيسة في ما بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٤ حول انتهاكات حقوق الإنسان "تركزت حول إسرائيل". لم تتعرض أي دولة أخرى لمثل هذا النقد الصريح.

نظر أصحاب نظرية المؤامرة والدارسون العلمانيون والصحفيون في الولايات المتحدة وخارجها إلى "مؤامرة يهودية"، أو بتعبير ألطف إلى "لوبي يهودي" يبين كيف يتزايد دعم الولايات المتحدة لإسرائيل، في الوقت الذي يقل فيه التعاطف معها من قبل المؤسسة الدينية والثقافية. لقد استحوذ الإيفانجليكيون على القوة الاجتماعية والسياسة، بينما فقدها المسيحيون الليبراليون والمثقفون العلمانيون، ولا يمكن لوم اليهود على ذلك!

الصحوة الكبرى الجديدة....

لم تنته بعد أيام الإيفانجيليكة، ويعتبرها العلمانيون والليبراليون في الولايات المتحدة وخارجها مظهراً مقلقاً. لكن التفاؤل المحسوب أفضل من الرعب. فالدين في الولايات المتحدة متعدد جداً بما يصعب على أي تيار منفرد أن يفرض سطوته. وسوف يستمر الحضور والتأثير المتزايدان للمجتمعات غير المسيحية (مثل اليهود والمسلمين والبوذيين والهندوس ثم العلمانيين) في الحد من قدرة أي جماعة على فرض "قيمها" على الساحة.

ربما يحاول الليبراليون- متدينين أو غير متدينين- معارضة الأجندة الإيفانجليكية في السياسة الداخلية. وفي معظم الأمور يمكن لهذه المشاحنات أن تتوقف عند حافة الماء (الحدود الأمريكية على الساحلين الشرقي والغربي). وتكتسب المؤسسة الإيفانجليكية الناهضة خبرة في السياسة الخارجية، فعلى الأرجح أنها ستحاول أن تبرهن على أنها شريك له قيمته بالنسبة للمؤسسة العلمانية أو المسيحية

الليبرالية. وقد تزايدت المخاوف من نفوذ الإيفانجليكيين في السياسة الخارجية. فعلى سبيل المثال، بعد أحداث ١١ سبتمبر، ساد خوف شديد من أن يطالب المسيحيون الإيفانجليكيون بشن حرب مقدسة ضد الإسلام. وقد أبدى قلة من القادة المسيحيين البارزين (بصفة عامة، أصوليون وليسوا إيفانجليكيين) تعليقات حادة. وأشار جيري فالويل، مثلاً، إلى النبي محمد بوصفه "إرهابياً"... ولكن سرعان ما وجه له زملاؤه اللوم الشديد على ذلك.

يسعى الإيفانجليكيون إلى التمسك بإيمانهم الخاص والقوى، وبهويتهم المسيحية البروتستانتية عند تعاملهم مع الناس. وقد عملوا مع الكاثوليك ضد الإجهاض، ومع اليهود المتدينين والعلمانيين لدعم إسرائيل. ويمكنهم الآن الاتصال بالمسلمين أيضاً. وفي النهاية كانت المستشفيات والمدارس التبشيرية هي الوسائل التي تواصل بها الشرق أوسطيون مع الولايات المتحدة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد حافظ الإيفانجليكيون على علاقات وثيقة ومثمرة مع المسلمين في العالم العربي. وللمسلمين و الإيفانجليكيين اهتمامات قوية بقضايا الفقر وإفريقيا. وكلا المعسكرين يعارض سيطرة الأفكار العلمانية غير الدينية على الخطاب الاجتماعي الدولي. وكلاهما يؤمن بوجوب معاملة الشخصيات والقيم الدينية بالاحترام في وسائل الإعلام، ولا يحبان تعظيم العلاقات الجنسية العابرة في وسائل الترفيه العامة وكل من الإسلام والإيفانجليكية ديانة ديمقراطية بدون كهنوت... أو واسطة كهنوتية هيراركية (هرمية). ولا يمكن أن يتفق المسلمون والإيفانجليكيون حول كل شيء، علاوة على ذلك، قد لا يقبل العلمانيون بعض

الاتفاقات التي توصلوا إليها. ويبقى الحوار الإسلامي الإيفانجليكي البناء أحد أفضل الوسائل لدرء خطر صراع الثقافات.

يجب أن يضع المراقبون، في اعتبارهم أن اللاهوت الإفانجيليكي لا يفرز- آلياً- سياسة خارجية جاكسونية أو مؤيدة لحقوق الشعوب. إن التحاور المستمر والتسويات المتبادلة تضيق الفجوة بين الإفانجليكيين وغيرهم في كثير من قضايا الخلاف. أما الخوف من أن تؤدي السياسة الإيفانجيليكية إلى سجن الولايات المتحدة في قوالب جامدة أو متطرفة فهو هراء. فالعمل مع قادة إيفانجيليكيين ذوي فكر سليم من أجل تحقيق مدخل لاهوتي لحقوق الفلسطينيين مثلاً، سوف يوسع مجالات سياسات الولايات المتحدة مع عدم معاداة إسرائيل، وبالتالي فإن انشغال الإيفانجليكيين في مناقشات أشمل حول السياسة الخارجية يمكن أن يؤدي إلى تطورات مدهشة وصادقة (لدى البعض)، وقد وقع أخيراً عدد من القادة الإيفانجليكيين المحافظين على بيان حول التغيرات المناخية، أقر بأن المشكلة جد خطيرة، وبأن النشاط البشري أحد الأسباب المسئولة، وبأن تكاليف إهمال الأمر ستكون باهظة. ولها تأثير غير متكافئ على الفقراء، كما أن على المسيحيين واجباً أخلاقياً في المساعدة على مواجهة المشكلة. في الوقت ذاته، قام الإيفانجليكيون المعارضون للعنف في السودان، وإغارات استرقاق المسيحيين في جنوبه والعمل على حماية المسيحيين في دارفور.

من الأرجح أن يولي الإيفانجليكيون مزيداً من التركيز على الاستثنائية الأمريكية أكثر مما يفعل الليبراليون. ومن الأرجح أيضاً أن يولوا اهتمامهم للجانب الأخلاقي للسياسة الخارجية الأمريكية أكثر مما يقبله معظم الواقعيين. لقد برزت قوة الإفانجليكيين لتبقى في المستقبل المنظور. وسوف يبذل المعنيون منهم بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة مزيداً من الجهد لتحقيق ذلك. يسعى القادة الإفانجليكيون لخوض تجارب مباشرة في السياسة الخارجية، ومن المحتمل نجاحهم.

تر: حمدي عباس

* * *